مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٢، ع ٤، ص ص ١٣٧-١٥٠، جامعة تبوك (جمادى الأولى ١٤٤٤هـ/ديسمبر ٢٠٢٢م)

الإيمان بأسماء الله وصفاته وأثره في حياة المسلم

د. عمر بن محمد العمر

أستاذ العقيدة المشارك، بقسم الدراسات الإسلامية-كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح- جامعة المجمعة

The Faith In The Holy Names Of Allah And His Attributes And Their Impact On The Muslim's Life

Dr.Omer Mohamed Alomer

Assistant Professor Religious Creed, Islamic studies- College of science and humanities in rumah- Majmaah University

الكلمات المفتاحية: أثر، أسماء، صفات.

الملخص: تناول البحث مسألة (الإيمان بالأسماء الحسنى وأثره في حياة المسلم)، وهذا البحث يركز على مسألة أثر معرفة الأسماء والصفات، وهذه مسألة جديرةٌ بالبحثِ والتأملِ والتدبرِ والوقوف عندها طويلًا؛ وذلك لأهميتها في حياة المسلم مع ربِّه، أو الناس، أو حتى في تزكية نفسه.

وقد قسَّمتُ البحث إلى: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

فالمبحث الأول: يتناول مقدمة ضرورية وقواعد مهمة في باب الأسماء والصفات. وهي بمثابة الأسس والقواعد التي تُعين العبد على فَهْم أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

والمبحث الثاني: يتناول أثر معرفة الأسماء والصفات في حياة المسلم، سواء فيما بينه وبين الخالق، أو فيما بينه وبين المخلوق. وتضمن أثر هذه المعرفة في تحقيق محبة الله، وفي تحقيق الخوف من الله، وفي تحقيق الرجاء في الله.

والتي أرجو أن تُسهم في إعلاء إيمان العباد، وتمسكهم بدينهم في زمن الفتن، وتبصيرهم بالله تعالى وما له من المنة على عباده، وما يستحقه سبحانه من التعظيم والهيبة والخشية، والرجاء فيما عنده. والمساهمة في بناء جيلٍ يعرفُ ربه جيدًا بأسمائه وصفاته، ويعمل بمقتضى هذه المعرفة، ويحمل همَّ هذا الدين.

وختمت البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات التي تثمرها معرفة الأسماء والصفات وأثرها في حياة المسلم؛ مما يُؤدِّي إلى تحقيق العبودية لله تعالى في القول والفعل والاعتقاد؛ لأنَّها تثمرُ الحبَّ والخوف والرجاء؛ فتكون العبادة متمثلة في غاية الذل مع كمال الخضوع.

Key Words: Impact - Names - Attributes.

Abstract: The research discussed the faith in the holy names of Allah and their impact on the life of the Muslim), focusing on the issue of the impact of knowledge of holy names and attributes, which is worthy of research, meditation, reflection and studying for a long time because of their importance in Muslim life with his Lord, people or even in purification of his soul.

The research was divided into two sections, an introduction and conclusion:

The first section deals with the necessary introduction and important rules in the holy names and attributes section. They represent the bases that help a slave to understand the holy names and attributes of Allah.

the second section deals with the impact of knowledge of the holy names and attributes in Muslim life, whether between Muslim himself and the Creator or between Muslim and the creature. It included the impact of this knowledge in the realization of Allah's love, Allah's fear, and the wish in Allah.

I hope to contribute to uphold the faith of the slaves and their adherence to their religion in the time of sedition, their vision of Allah Almighty and His blessings on His slaves, and what Allah deserves of the glorification, dignity, fear, and wish of His blessings. I hope to contribute to establish a generation connected very well to Allah with His holy names and attributes and worshiped Allah under this knowledge

The research concluded by mentioning the most important results and recommendations resulting in the knowledge of the holy names and attributes, and their impact on Muslim life, which lead to the achievement of slavery to Allah in words, deeds and belief because slavery to Allah yields love, fear and hope so that worship is represented in a very humiliation with the perfection of submission to Allah.

المقدمة:

الحمدُ لله القائل في محكم كتابه العزيز: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهذا فيه إخلاصُ العبادة لله، ومجانبة المشركين والملحدين. ولا شك أنَّ معرفة العبد لربه أصلٌ من الأصول الثلاثة التي أوجب علماء الأمة معرفتها، ولا يتم إيمان العبد بربه إلا بمعرفة أسمائه وصفاته.

وهذا الإيمان: اعتقادٌ بالجنان، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح والأركان. وينتج عن هذا: أنَّ الإيمان بصفات الله له أثرٌ على اعتقاد العبد وعلى سلوكه وعباداته. ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذا الموضوع.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- عِظَم العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى؛ لأنَّ معرفتها أصلُ الإيمان؛ وعليه فإنَّ معرفة الأسماء والصفات أشرف العلوم؛ لأنَّه هو الطريق إلى العلم به سبحانه وبحمده.

٢- عِظَم أمر توحيد الأسماء والصفات للناس عامة، ولأهلِ العلم خاصة.

٣- معرفة الناس بالله سبحانه وتعالى لا يكون إلا بمعرفتهم بربهم سبحانه بأسمائه وصفاته.

٤- بيان أثر الفقه بأسمائه وصفاته في جميع جوانب الحياة.

٥- نُدرة البحوث السابقة في هذا الموضوع.

٦- ما سُطِّر في هذا الموضوع -على كثرته- فمادته متناثرة في كتب التراث في القديم والحديث، مختلطٌ بمباحث خاصة بالردِّ على الفِرَق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة؛ فتحتَّم ذلك جمع المتناثر وتنسيقه وترتيبه واستخلاص نتائجه.

٧- انتشار كتابات المخالفين لأهل السنة في باب الأسماء والصفات والتعبد بها؛ فوجب الإسهام في بيان المعتقد الصحيح في هذا الموضوع.

٨- عبادة الله بتعليم عباده هذا الباب العظيم في تحقيق العبودية؛ فإنَّ من عرَف الله أحبَّه ولا بدَّ.

٩- أنَّ معرفة الله بأسمائه وصفاته سبب في دخول الجنة.

صعوبات البحث:

١- قلة المصادر الرئيسة في آثار أسماء الله وصفاته.

٢- قلة الدراسات في هذا الباب كذلك؛ مما لم يُيسر لي فرصة الاستئناس بهذه الدراسات.

٣- تشعُّب مادة البحث؛ فهي مبثوثة في غضون المصادر والمراجع الكبرى، ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرها.

منهج البحث:

لقد انتهجت في هذا البحث المنهج الاستنباطي الوصفي.

أهداف البحث:

١- بيان أهمية معرفة الأسماء والصفات.

٢- بيان أثر معرفة الأسماء والصفات في الحياة.

الدراسات السابقة:

١- أسماء الله الحسنى: آثارها وأسرارها. للدكتور محمد بكر إسماعيل.

٢- أثر معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأهميتها. إعداد: نجوى إبراهيم موسى سعيد.

٣- أثر الإيمان بصفات الله في سلوك العبد. أحمد بن محمد النجار.

وهناك بعض المصادر التي تضمَّنت مبحثًا بهذا العنوان، فمن ذلك -على سبيل المثال-:

١- ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها. عبدالعزيز ناصر الجليل.

٢- النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى. محمد الحمود النجدي.

٣- النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. أمين الأنصاري.

خطة البحث:

احتوى البحث على ما يلي:

مقدمة، وبها أهمية البحث وأهدافه.

تمهيد، ويشمل:

- التعريفات بمصطلحات البحث.

أ- الأسماء.

ب- الصفات.

ج- الأثر.

ومبحثينِ:

المبحث الأول: معرفة الأسماء والصفات.

ويشمل:

بعض القواعد العامة في معرفة الأسماء والصفات.

أ- أسماء الله توقيفية.

ب- أسماء الله كلها حسنى، وصفاته كلها كمال لا نقْص فيها.

ج- أسماء الله غير محصورة بعدد.

المبحث الثاني: أثر معرفة الأسماء والصفات.

ويشمل:

أ- أثر معرفة أسماء الله وصفاته في تحقيق محبة الله.

ب- أثر معرفة أسماء الله وصفاته في تحقيق الخوف من الله.

ج-أثر معرفة أسماء الله وصفاته في تحقيق الرجاء في الله.

ثم ذيَّلتُ البحث بخاتمة، وبها أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس والمصادر.

التمهيد: ويشمل تعريفًا بالمصطلحات الآتية:

أولًا: الأسماء. ثانيًا: الصفات. ثالثًا: الأثر.

أولًا: تعريف الأسماء:

في اللغة: "الاسم هو: ما دلَّ على معنًى في نفسه، غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة" (الجرجاني، ١٤٠٣هـ، ص ٢٤).

وقال قومٌ: الأسماء سمات دالة على المسميات؛ ليُعرَف بها خطاب المخاطب، وهذا الكلام محتمل وجهينِ: أحدهما: أن يكون الاسم سمة كالعلامة والسيماء. والآخر: أن يقال: إنَّه مشتقٌ من "السمة". فإن أراد القائل أنَّها سمات على الوجه الأول فصحيح، وإن كان أراد الوجه الثاني فحدثني أبو محمد سلم بن الحسن البغدادي، قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج يقول: معنى قولنا: "اسم" مشتق من "السمو"، والسمو الرفعة" (ابن فارس، ١٤١٨هـ، ص ٥٢).

وفي الاصطلاح: هو كلُّ اسمٍ سمَّى الله تعالى نفسه به في القرآن، أو سمَّاه نبيَّه به في صحيح السنة.

وأسماء الله: كلّ ما دلَّ على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير؛ فإنَّ هذه الأسماء دلَّت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر (الدويش، ١٤٢٤هـ، ١١٦/٣).

ثانيًا: تعريف الصفات:

في اللغة: الصفة: هي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يُعرَف بها (الجرجاني، ١٤٠٣هـ، ص: ١٣٣).

وفي الاصطلاح: هي نعوتُ الكمال القائمة بالذات، كالعلم والحكمة، والسمع والبصر" (الدويش، ١٤٢٤هـ، ١١٦/٣).

والصفة والوصف تارة يُراد به الكلام الذي يُوصَف به الموصوف، وتارةً يُراد به المعاني التي دلَّ عليها الكلام، كالعلم والقدرة (ابن تيمية، ١٤١٦هـ، ٣٣٥/٣).

ثالثًا: تعريف الأثر:

في اللغة: ’’ما بقي من رسْم الشيء‘‘ (ابن فارس، ١٤٠٦ هـ، ٨٦/١).

وفي الاصطلاح: ’’الآثار: هي اللوازم المعلَّلة بالشيء. والأثر: هو الحاصل من الشيء" (الجرجاني، ١٤٠٣هـ، ص: ٩).

ويمكن أن نقول: إنَّه يتمثَّل فيما تتركه معرفة أسماء الله وصفاته من أثرٍ في حياة العبد في الظاهر والباطن.

المبحث الأول

معرفة الأسماء والصفات

بعض القواعد العامة في معرفة الأسماء والصفات:

أ- أسماء الله توقيفية:

هذه القاعدة من أبرز قواعد الأسماء عند أهل السنة والجماعة،

ومعناها باختصار: عدم تسمية الله تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو لم يُسَمِّه به رسوله، ولا يُزاد فيها ولا يُنقَص.

وذلك لقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وذلك لعدة أمور:

أولًا: لأنَّها غيبيات ولا دخل للعقل فيها؛ لعدم إمكانه إدراك ما يستحق رب العالمين عزَّ وجل من الأسماء والصفات إلا بدلالة الكتاب والسنة؛ ولكن يجب الوقوف على ما وردَ في القرآن وصحيح سنة رسول الله.

ثانيًا: التقوُّل عليه سبحانه بغير علم من المنكرات الجِسام، وتسميته تعالى بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، أو نفي وإنكار أسمائه جريمةٌ عظمى، وقد توعَّد ربنا مَن فعَل ذلك بالعذاب فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

واعلم أنَّ هذه القاعدة استنبطها أهل العلم من أدلة كثيرة؛ منها: قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وحديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيت به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك..." الحديث (ابن أبي شيبة، ١٤٢٧هـ، ٢٩٩٣٠، وأحمد، ١٤٢١ هـ، ٣٧١٢، ٤٣١٨).

والشاهد «سمَّيت به نفسك»، فواضح الدلالة أنَّ الله تعالى هو الذي سمَّى نفسه، ولا دخل للخلقِ في هذا، فدلَّ على أنَّها توقيفية.

وقال رجلٌ لعبد الله بن عباس: "إني أجدُ في القرآن أشياء تختلف عليَّ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، سمَّى نفسه ذلك'' (البخاري، ١٤٢٢هـ، ١٢٧/٦ مُعلقًا). فصرَّح ابن عباس أنَّ الله هو الذي سمَّى نفسه بذلك.

وقال الإمام أحمد: "... وما أشبه هذه الأحاديث، فقال أبو عبد الله: نؤمن بها ونصدِّق بها، ولا كيف ولا معنى، ولا نرُد منها شيئًا، ونعلم أنَّ ما جاءت به الرسل حق، ونعلم أنَّ ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم حق إذا كانت بأسانيد صحيحة، ولا نرُد على قوله، ولا نصف الله تبارك وتعالى بأعظم مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غاية'' (ابن تيمية، ١٤٢٦هـ، ٦٢٣/٢-٦٢٤).

ب- أسماء الله كلها حسنى، وصفاته كلها كمال لا نقص فيها.

هذه القاعدة من أهم القواعد، ولها ثمارها العظيمة، والحسنى على وزن ''فُعْلَى''، تأنيث الأحسن، يقال: الاسم الأحسن، والأسماء الحسنى (الهروي، ١٤١٩ هـ، ٤٤٥/٢).

والمعنى أنَّ أسماء الله كلها غاية في الحسن، فلها الحسن التام المطلق، فلا يعتريها نقصٌ من أي وجهٍ من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا، وهي أسماء متضمنة لصفات الكمال والجلال، فلولا أنَّها متضمنة لصفات الكمال ما كانت حسنى.

ولقد وصف الله أسماءه بأنَّها حسنى في أربعة مواضع في كتابه الكريم؛ منها:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

-﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

ففي هاتينِ الآيتينِ وصَف الله تعالى أسماءه جميعًا بأنَّها حسنى، أي بالغة في الحسن كماله ومنتهاه.

وقال عبدالله بن عباس في قوله: ﴿الصمد﴾ [الإخلاص: ٢]:'' السيد الذي قد كمَل في سؤدده، والشريف الذي قد كمَل في شرفه، والعظيم الذي قد عظُم في عظمته، والحليم الذي قد كمَل في حلمه، والغني الذي قد كمَل في غناه، والجبار الذي قد كمَل

في جبروته، والعالم الذي قد كمَل في علمه، والحكيم الذي كمَل في حكمته، وهو الذي قد كمَل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفته، لا تنبغي إلا له" (الطبري، ١٤٢٢ هـ، ٧٣٦/٢٤، وأبو الشيخ، ١٤٠٨هـ، ٩٦).

وهنا نلاحظ أنَّ الصحابي الجليل ابن عباس قرَّر أنَّ الله سبحانه هو السيد الكامل في السؤدد، والحليم الكامل في حلمه. وهكذا في كل اسمٍ له سبحانه وبحمده.

قال ابن القيم:

وهو الجَميلُ على الحقيقةِ كَيف لا
وجمالُ سائرِ هذه الأكوانِ
مِن بعضِ آثارِ الجميلِ فربُّها
أَولى وأجْدَرُ عندَ ذي العِرفانِ
فجَمالُه بالذاتِ والأسماءِ والـ
أوصافِ والأفعالِ بالبُرهانِ

ج- أسماء الله غير محصورة بعدد.

هذه القاعدة من الأهمية بمكان في هذا الباب.

والمعنى العام: أنَّ أسماءه سبحانه غير محصورة ولا محدودة بعدد معين؛ لأنَّ الله قد استأثر بها عنده، ولم يطَّلِع عليها أحد، وعليه فما استأثر الله بعلمه لا يمكن لأحد حصره.

وقد ورد في السنة ما يقرر هذه القاعدة ويبيِّنها، ومن ذلك حديث الشفاعة الطويل، وفيه: ''ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحُسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٤٧١٢، ومسلم، ١٤١٢هـ، ١٩٤).

ومنها أيضًا حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ''ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك...'' (ابن أبي شيبة، ١٤٢٧هـ، ٢٩٩٣٠، وأحمد، ١٤٢١ هـ، ٣٧١٢، ٤٣١٨).

ولم يَرِد في صحيح السنة ما يُوحي أنَّها محصورة بعددٍ معين (ابن القيم، ١٤٢٥ هـ، ٢٩٣/١).

وبالنسبة لحديث: ''إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٢٧٣٦، ومسلم، ١٤١٢هـ، ٢٦٧٧).

فلا يدل على الحصر المزعوم، وقد اتفق العلماء على أنَّ هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى؛ فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنَّما مقصود الحديث أنَّ هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة؛ فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء (النووي، ١٣٩٢هـ، ١٧/٥).

المبحث الثاني

أثر معرفة الأسماء والصفات

اعلم -علَّمني الله وإياك- أنَّ من المقرر عند أهل العلم أنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، وهنا المعلوم هو رب العالمين -تبارك وتعالى- بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فالعلمُ بأسمائه وصفاته أشرف العلوم، والاشتغال بفَهْم هذا العلم من أعظم القُربات إلى الله تعالى.

وهذه المعرفة مثمرة للخيرات والبركات، ومعرفة الصفات يثمر حالًا عليه أثرًا وأقوالًا وأفعالًا؛ وذلك لأنَّ العلم بأسمائه وصفاته يستلزم عبادته سبحانه وتعالى ومحبته وخشيته، ويوجب تعظيمه وإجلاله.

ولكن اعلم أنَّ هذا الأثر المنشود ليس في جميع الأسماء؛ بل في الأسماء المتعدية فقط، أي التي تدلُّ على وصفٍ متعدٍّ، فإذا ثبت الاسم تضمَّن ما دلَّ عليه من معنًى وما دلَّ عليه من آثار، مثل اسم الله: الرحمن والرحيم، فهما متضمنانِ لصفة الرحمة، وتتعلق بهما الآثار على عباد الله تعالى.

ومن آثار رحمته أنَّه أرسل الرسل، وأنزل علينا كتابه، فهدانا من الضلالة، وبصَّرنا من بعدِ العمى، وبرحمته عرفنا بأسمائه وصفاته، وبرحمته أطلع لنا الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار (ابن القيم، ١٤٢٢هـ، ص: ٣٦٨).

وإذا دلَّ الاسم على وصف غير متعدٍّ فإنَّ هذا الاسم يتضمن ثبوته وثبوت الصفة التي تضمنها، دون الأثر.

واعلم أيضًا أنَّ معرفة الأسماء والصفات لها الأثر البالغ في تحقيق العبودية له سبحانه وبحمده، وقد قال العزُّ بن عبدالسلام: "فَهْم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراته من الخوف والرجاء، والمهابة والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات" (العزُّ بن عبدالسلام، ١٤٢٤هـ، ص: ٦٧).

ومدار العبودية على ثلاثة أسسٍ: الحبُّ، والخوف، والرجاء (ابن تيمية، ١٤١٦هـ، ١٥/٢٦).

وإليك بيان هذه الأسس والركائز.

أ- أثر معرفة أسماء الله وصفاته في تحقيق محبة الله:

من عرَف أسماء الله الحسنى وصفاته العلى عبَدَه حق العبادة؛ لأنَّ عبودية العبد لربه تعالى ترجع إلى مقتضى صفاته سبحانه وبحمده، وكمال صفاته يقتضي من العبد غاية الذل والانكسار للعزيز الجبار مع كمال الحبِّ.

ومن عرَف الله بأسمائه وصفاته أحبَّه ولا بدَّ، وهذه المحبة تتفاوت من عبدٍ لآخَرَ بحسب معرفتهم بصفات الله، فكلما كان العبد بالله أعرفَ ازداد إيمانًا وعبوديةً.

وحُبُّ العبد لربه على قدْر معرفة العبد بأسماء الله وصفاته، وعلى قدر هذه المعرفة تكون المحبة، وكذا الخوف والرجاء (ابن القيم، ١٤١٦ هـ، ٣/٣١٨).

والمؤمن إذا آمن بالله حقًّا فعرَفه بأسمائه وصفاته خاف الله، فإذا خافه دامت طاعته لربه تبارك وتعالى، فإذا أطاعه تولَّد من الطاعة الرجاء، ثم تولَّدت من الرجاءِ المحبةُ.

وإذا كانت المحبة صادقة أورثت تعظيمًا لمحبوبه يمنعه من انقياده إلى غيره (ابن القيم، ١٤١٤ هـ، ص: ٤٤٠).

ومنزلة المحبة وأثرها ظهرت في كلام أهل العلم؛ فمن ذلك قول يحي بن معاذ الرازي: "الإيمان ثلاثة: الخوف، والرجاء، والمحبة، وفي جوف الخوف ترك الذنوب، وفيه النجاة من النار، وفي جوف الرجاء الطاعة، وفيه وجوب الجنة، وفي جوف المحبة احتمال المكروهات، وبه تجد رضا الله عز وجل" (البيهقي، ١٤٢٣ هـ، ١٠٠٢).

وقال أبو عبدالله الواسطي: ”مدار العبودية على ستة أشياء: التعظيم، والحياء، والخوف، والرضا، والمحبة، والهيبة“ (السلمي، ١٤٢١هـ، ٢/١٧٦).

وقال أبو الحسين أحمد بن محمد الخوارزمي: ”من عبَدَالله بالخوف وقع في بحر القدرة، ومن عبدالله بالرجاء دون الخوف وقع في بحر المهالك، ومن عبَدالله بالمحبة دون الرجاء والخوف وقع في بحر الوساوس والبدع، ومن عبَدَالله بالخوف والرجاء والمحبة نال الاستقامة وصفًا له المعاملة" (المقدسي، ق ١٣٤٦ب).

واعلم أنَّ محبة الله تبارك وتعالى في قلوب المؤمنين بحاجة إلى ما يحرِّكها ويعظِّمها؛ لتعمر القلوب بالتقوى والصلاح، ومن ذلك معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، وذلك بمعرفة معانيها ودوام مطالعتها وتقليب الفكر في آثارها، وكل اسم وصفة تستدعي المحبة، وكلما زادت معرفة العبد بالأسماء والصفات ازدادت محبته للموصوف بها.

والآن يجدر بنا أن نذكر بعض أسماء الله وصفاته التي تقوِّي محبته تعالى في القلوب.

١- الرحمن الرحيم: كلاهما من أسماء الله تعالى الحسنى، مشتق منه صفة الرحمة.

وهي صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب وصحيح السنة. وهي صفة كمال تليق بذات الله تعالى كسائر صفاته، ولا يجوز نفيها أو تعطيلها؛ لأنَّه من الإلحاد في أسمائه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وفي الحديث: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ”قال الله عز وجل: أنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها من اسمي، فمَن يَصِلْها أصِلُه، ومن يقطعها أقطعه، فأبتّه -أو قال: مَن يَبتَّها أبتّه-“ (أبو داود، ١٤٠٤ هـ، ١٦٩٤، ١٦٩٥، والترمذي، ١٣٩٥ هـ، ١٩٠٧).

وعن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إنَّ رحمتي سبقت غضبي" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٧٤٢٢، ومسلم، ١٤١٢هـ، ٢٧٥١).

وآثار هذه الصفة العظيمة ظاهرة في خلقه سبحانه بجلاء (ابن القيم، ١٤٢٢هـ، ص: ٣٦٨).

رحمة الله شاملة لكلِّ شيءٍ، تشمل: المؤمن والكافر، المسلم والمشرك، البَر والفاجر، الصالح والطالح، بل الإنسان والحيوان.

ولكن الرحمة رحمتانِ: عامة للمخلوقات جميعًا، وخاصة للمؤمنين.

ومن آثار رحمته على خلقه أنَّه جعل العباد يتعاطفون ويتراحمون فيما بينهم، حتى إنَّ الوحش ترحم وليدها فترفع الدابة حافرها عنه خشية أن تصيبه.

وهنا لا بد للعبد بعد أن عرَف اسم الله ''الرحمن الرحيم''، وصفة الرحمة وآثارها في المخلوقات أن تؤثر هذه المعرفة في سلوك العبد وعباداته، ومن أعظم ما تثمره الرحمةُ محبةُ الله تعالى لِمَا أنعم به على العبد وما صرف عنه من شرور، وذلك رحمة بهم، فيستوجب من العبد محبته سبحانه وتعالى.

٢- الحليم: اسمٌ من أسماء الله تعالى الحسنى، مشتقٌ منه صفة الحلم.

وهي صفةٌ ثابتةٌ لله تعالى بالكتاب وصحيح السنة، ويدل عليه عدة نصوص من الكتاب والسنة؛ منها:

قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

وعن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض، ورب العرش العظيم" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٦٣٤٥، ومسلم، ١٤١٢هـ، ٢٧٣٠).

وحِلمُ الله شاملٌ، وقد وسع كل شيء، فالله تعالى يحلم بعباده، ولو شاء لَعاجلهم بذنوبهم؛ ولكن الله الحليم يحلم على عباده ويمهلهم ويحرسهم ويرزقهم، ولا أعظم من حلْمه على عباده وهم يكفرون به؛ بل ويدعون له سبحانه الولد، ومنهم من يعبد غيره والحليم سبحانه يعافيهم ويرزقهم!

وخشية الإطالة نذكر هنا بعض أسمائه تعالى التي تُقوّي في قلب العبد محبته سبحانه وتعالى؛ وهي: الرزاق، والغفور الغفار، واللطيف، والشافي، والقريب، والوهاب، والفتاح، والسلام، والصمد... إلخ.

ومحبة الله تعالى لها الأثر البالغ في تحقق العبودية؛ فإنَّ محبة الله تُترجَم إلى نشاطٍ وقوةٍ واجتهادٍ في عبادة الله تعالى، سواء العبادات الظاهرة، والخفية، والعبادات القلبية، وعبادات الجوارح كذلك.

ب- أثر معرفة أسماء الله وصفاته في تحقيق الخوف من الله:

ومن عرَف أسماء الله الحسنى وصفاته العلى خافه ولا بد؛ لِمَا يعرفه من أسماء سطوته واطلاعه على ما يفعله العبد؛ بل معرفة أنَّه يعلم السرَّ وأخفى سبحانه وبحمده.

وكلما عرَف العبد ربَّه وزادت هذه المعرفة زادت هيبةُ وخشية ذلك العبد لربه (ابن القيم، ١٤٠٣هـ، ص: ٤٠٦).

والمقصود بالخوف هنا هو: عبادةٌ قلبية وانفعالٌ إيماني يحصل من معرفة العبد لربه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الدالة على عظمته وقوته، وسطوته وغضبه، وانتقامه وشديد عذابه، فينشأ عنه استقامة وتقوى ومداومة على الطاعة.

واعلم أنَّ الخوف متعلقٌ بالأفعال، بينما المحبة متعلقة بالذات والصفات؛ ولذا تتضاعف محبة العباد المؤمنين لربهم إذا استقروا في الجنة، وهم لا يلحقهم خوف فيها؛ ولذا فمنزلة المحبة أعلى من منزلة الخوف (ابن القيم، ١٤١٦ هـ، ٥١٠/١).

وللخوف منزلة عظيمة في دين الله، وهي أحد أركان العبودية الثلاثة، وإذا تحققت أثمرت أنواعًا من العبادات الظاهرة والباطنة، وتدل على قوة الإيمان.

والخوف من الله يُورث التقوى له سبحانه، وهو من لوازم الإيمان؛ فقد قال علي بن أبي طالب في تعريف التقوى: "الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل'' (الصالحي، ١٤١٤ هـ، ٤٢١/١).

وإنَّ الخوف من المقامات العلى، وهو من لوازم الإيمان" (ابن حجر، ١٤٢٢هـ، ٣١٣/١١).

وقد أثنى ربنا سبحانه على أنبيائه عليهم صلاة الله وسلامه بالخوف والرهبة منه؛ حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال سبحانه: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ

الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦].

وقال أبو سليمان الداراني: ''أصلُ كل خيرٍ في الدنيا والآخرة الخوف من الله" (أبو نعيم، ١٣٩٤هـ، ٣٥٩/٩، والبيهقي، ١٤٢٣ هـ، ٨٤٩، ٥٣٢٧).

ويَنقُصُ الخوف منه سبحانه بنقصان معرفة العبد لربه (ابن القيم، ١٤١٤ هـ، ص: ٤٢٤).

فإذا عرَفْت ذلك أنَّه من عرَف الله بأسمائه وصفاته اشتدَّ حياؤه من الله وخافه، وكلما ازدادت معرفته بربه ازداد في قلبه الخوف منه؛ ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ونذكر بعض الأسماء والصفات التي تُحرِّك في القلوب خوف الله وخشيته ورهبته، وهذا يثمر الاجتهاد في طاعته، والاستقامة على صراط الله المستقيم بفعل أوامره سبحانه واجتناب نواهيه.

١- السميع: اسمٌ من أسمائه سبحانه، مشتقٌ منه صفة السمع. وهما ثابتتانِ بالكتاب والسنة.

فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقال عزَّ وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

ومن ذلك أنَّ عائشة أم المؤمنين قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ فقال: "لقد لقيت من قومِك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يَالِيلَ بن عبْدِ كُلالٍ، فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلا بقرْن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنَّ الله عز وجل قد سمع قول قومك لك..." (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٣٢٣١، ومسلم، ١٤١٢هـ، ١٧٩٥).

وقالت عائشة أم المؤمنين في قصة المجادلة: "الحمدلله الذي وَسِع سمعه الأصوات" (النسائي، ١٤٠٦ هـ، ٣٤٦٠، وابن ماجه، ١٤٣٠ هـ، ١٨٨).

فسَمْعُ الله تعالى محيطٌ بكل شيء، يسمع الأصوات كلها ولا يخفى عليه خافية بعيدة ولا قريبة، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات، كما جاء في حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا، فلا تظالموا...، يا عبادي، لو أن أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنقص المِخْيَطُ إذا أدخل البحر..." (مسلم، ١٤١٢هـ، ٢٥٧٧).

ويُعلَم من هذا أنَّ إحاطة سمعه تعالى بكلِّ شيءٍ، سمعٌ يليق بكماله وجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهذا داعٍ للخوف منه تعالى، يُثمِر القُرب منه سبحانه، فكل مخلوق إذا خِفْتَه ابتعدت عنه، أمَّا الله سبحانه إذا خِفْت منه اقتربت منه (ابن القيم، ١٣٩٣ هـ، ص: ٣١).

وعليه؛ فإذا آمن العبد وأيقن أنَّ الله سميعٌ له السمع المطلق، متصف بصفة السمع، فإنَّ هذا يثمر له خوفًا ورهبةً وخشيةً، ويثمر له عملًا وسلوكًا؛ ومما يثمره هذا الإيمان واليقين الإخلاصُ، والخشوع، والتوبة والإنابة، والدعاء والاستغفار، والحياء منه سبحانه، وكمال مراقبته والخوف منه؛ فينتج عن هذا حفظ اللسان والسمع والبصر وجوارحه وقلبه عن كل ما لا يحبه الله ولا يرضاه؛ حتى لا يتعرض لغضبه وعقابه سبحانه وتعالى.

ولذا كان السلف ينظرون في أعمالهم كلها، ويتفكرون في رضا الله وغضبه قبل الإقدام على العمل.

٢- صفة الغضب: وهذه الصفة الجليلة ثابتة بالكتاب وصحيح السنة.

قال الله سبحانه: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[طه: ٨١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[الأنفال: ١٦].

وجاء في حديث الشفاعة الطويل المشهور: ''ربي غضِب غضبًا، لم يغضب قبله مِثلَه، ولا يغضب بعده مثله" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٣٣٤٠، ومسلم، ١٤١٢هـ، ١٩٤).

وهذه الصفة نثبتها على ظاهرها -كغيرها من الصفات- كما تليق به سبحانه.

ومن آثار غضب الله تعالى: العقوبات، والآلام والمِحَن، والمكروهات التي تنزل بالخلق.

فإذا عرَف ذلك العبدُ معرفةً جيدة قوية، وآمن بصفة الغضب لله تعالى أثمر ذلك الخوف منه سبحانه، وينتج عن ذلك ترك المعاصي والإقبال على الطاعات.

فهذا الحوف يحمي العبد من الوقوع في الشرك والكفر والبدع والمعاصي، ويجعل له وقاية من الشيطان وشركه.

وبالخوف يستقيم العباد على أمر الله؛ ولكن -للأسف- لما غاب عن حياة بعض العباد استحضار صفة الغضب لله تعالى ظهرت الفواحش وارتُكِبَت الموبقات، وأُكِل الربا، وذاع وانتشر الخوف من غير الله.

ومن أجل ذلك خلَق الله النار؛ فقد قال ابن عيينة: "خُلقت النار رحمةً؛ يخوِّف بها عباده لينتهوا" (ابن أبي الدنيا، ١٤١٧هـ، ١٤١، وأبو نعيم، ١٣٩٤هـ، ٢٧٥/٧).

ومن المنجيات للعباد من هذه الرذائل التعبدُ لله بمقتضى صفاته، وهذا لا يتأتى إلا بمعرفتها والتفقُّه في صفات الله تبارك وتعالى.

ومن الأسماء التي تثمر الخوف منه سبحانه أيضًا: العظيم، والبصير، والرقيب، والعليم، والقوي، والقدير، والقهار، والعزيز، والجبار، وغيرها.

ج- أثر معرفة أسماء لله وصفاته في تحقيق الرجاء في الله:

الرجاء من أعمدة العبودية، وهو من عبادة القلب، وتتضمن انكسارًا وخضوعًا، وأصلها معرفة الله وكرمه وعفوه وحلمه، وإن شئت فقُلْ: حسن ظن وعبادة، وتوكُّل، وتوبة وندم.

وهو الطمع فيما عندالله. أو: هو النظر إلى سعة رحمة الله (ابن القيم، ١٤١٦ هـ، ٣٧/٢).

واعلم أنَّ الرجاء هو تعلقٌ به سبحانه من حيث اسمه المحسن (ابن القيم، ١٤١٦ هـ، ٤٣/٢).

والرجاء لا يكون إلا بعمل وبذل الجهد، وحسن التوكل على الله، وحسن الظن به سبحانه.

والمقصود من الرجاء أنَّ مَن وقع منه تقصير فليُحسِن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأمَّا من انهمك على المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندمٍ ولا إقلاع، فهذا مغرور!'' (ابن حجر، ١٤٢٢هـ، ٣٠١/١١).

ومنزلة الرجاء عظيمة؛ فهو الركن الثالث من أركان تحقيق العبودية لله تعالى، التي بها ينال العبد رضوان الله، وبها يلزم العبد طاعة ربه، وبها ينال ما عندالله من النعيم.

فالرجاء يَزيدُ في معرفة الله وأسمائه وصفاته، وهو سبيل رضا الله عن العبْد، والبُعد عن غضبه سبحانه؛ فإن مَن لم يرجوه تبارك وتعالى يغضبْ عليه.

وهذه الصفة يحبها الله، فهو يحبُّ من عباده أن يرجوه، ويسألوه من فضله؛ لأنَّه الملك الجَوَاد، والجَوَاد يحب أن يُرجى ويُسأل (ابن القيم، ١٤١٦ هـ، ٥٠/٢-٥١).

وفي الحديث: "من لم يسأل الله يغضبْ عليه" (الترمذي، ١٣٩٥ هـ، ٣٣٧٣، وابن ماجه، ١٤٣٠ هـ، ٣٨٢٧).

وقد مدح الله أهله وجعله صفة لعباده المؤمنين الصادقين؛ فقال جلَّ وعز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقال أيضًا: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

تأمَّل هنا: مَن كان يرجو ثواب ربه تعالى ولقائه، ورؤيته في الجنة والنظر إلى وجهه الكريم؛ فليعمل عملًا صالحًا؛ فامتدح هنا مَن قام بالرجاء؛ فترتب عليه العمل الصالح، وهذا العمل الصالح ثمرته الجنة، فدلَّ على أنَّ هذا الرجاء ممدوح، فهو مرضي.

وكلُّ مسلمٍ محتاجٌ إلى الرجاء؛ لأنَّه يدور بين معصية يرجو غفرانها، وطاعة يرجو قبولها.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

وفي الحديث عن أبي هريرة، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال

لبلال عند صلاة الفجر: ''يا بلال، حدثني بأرجى عملٍ عملته في الإسلام؛ فإنِّي سمعت دَفَّ نعليك بين يدي في الجنة، قال: ما عملتُ عملًا أرجى عندي أني لم أتطهر طُهورًا في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ إلا صليت بذلك الطُّهور ما كُتِب لي أن أصلي". (البخاري، ١٤٢٢هـ، ١١٤٩، ومسلم، ١٤١٢هـ، ٢٤٥٨).

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، وإن تقرَّب إليَّ بشبرٍ تقرَّبت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً'' (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٧٤٠٥، ومسلم، ١٤١٢هـ، ٢٦٧٥).

والرجاء ''هو عبوديةٌ وتعلُّقٌ بالله من حيث اسمه البَر المحسِن؛ فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم والمعرفة بالله هو الذي أوجب للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري؛ فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وغَلَبة رحمته غضبه، ولولا روح الرجاء لَعُطِّلت عبودية القلب والجوارح'' (ابن القيم، ١٤١٦ هـ، ٤٣/٢).

واعلم أنَّ طاعة الله وحُسْنها من علامات صدق الرجاء (ابن القيم، ١٤١٦ هـ، ٣٧/٢).

فإذا عرَفت ذلك، فينبغي لنا أن ننتقل إلى ذكر بعض الأسماء والصفات المحقِّقة للرجاء.

١- الرحمن الرحيم -وقد سبق الكلام عليهما في أثر معرفة الأسماء والصفات في تحقيق محبة الله-، وكلّ اسمٍ دالٍ على سعة رحمة الله تعالى.

٢- القريب: اسم من أسمائه تعالى الحسنى، مشتقٌ منه صفة القُرب.

وصفة القرب ثابتة لله تعالي في الكتاب وصحيح السنة، كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال جلَّ وعز: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هلَّلنا وكبَّرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس، ارْبعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا؛ إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جدُّه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٢٩٩٢، ومسلم، ١٤١٢هـ، ٢٧٠٤).

والله عز وجل يَتقرب من عباده المؤمنين حقًّا، الذين يدعونه ويسألونه ويستغفرونه بالأسحار، فيستجيب دعاءهم، ويعطيهم ما سألوه ويغفر لهم، ولا جبر لانكسار العبد أعظم من القرب والإجابة (ابن رجب، ١٤٢٤ هـ، ص: ٢٩٣).

والنفوس مجبولة على الإقبال على القريب منها وسؤال مَن يجيبها .

ويثمر الإيمان بهذه الصفة العظيمة -صفة القرب- قوةَ الرجاء والطمع فيما عند الله، وهذا يجعل العبد يُجِد ويجتهد في العمل الصالح.

فإنَّ العابد يرجو من الله الثبات والقبول؛ لأنَّ هذا مقتضى قُرْب الله تعالى من العابد، والسائل يرجو من الله أن يستجيب له، ويحقق سؤله؛ لأنَّ هذا مقتضى قرب الله تعالى من السائل، ويترتب عليه أن المؤمن لا يسأل إلا رب العالمين، ولا يدعو إلا إياه، ولا يلجأ إلا إليه؛ لأنَّه قريب يسمع دعاءه ومناجاته.

ويترتب على الإيمان بصفة القرب أيضًا الاجتهادُ في طاعة الله تعالى طمعًا في محبة الله له.

ومن لوازم المحبة القرب، فكلما كان الحب أشد كان القرب أكثر (ابن القيم، ١٤١٤ هـ، ص: ٤٥).

فيَتقرب العبد إلى الله بكل أنواع العبادات القلبية؛ من محبةٍ وخوفٍ، ورجاءٍ وإنابةٍ، وتوكُّل، والعبادات البدنية كذلك؛ من أداء الفرائض والمستحبات.

٣- الرضا: اسم من أسماء من أسماء الله تعالى، مشتق منه صفة الرضا.

وصفة الرِّضا ثابتة في القرآن وصحيح السنة.

قال سبحانه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[المائدة: ١١٩].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وفي الحديث عن عائشة قالت: فقدْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةً من الفراش، فالتمستُه، فوقعت يدي على بطن قدَمَيه وهو في المسجد وهما منصوبتانِ وهو يقول: "اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك" (مسلم، ١٤١٢هـ، ٤٨٦).

وهي صفةٌ ثابتةٌ لله تعالى على ظاهرها، كما يليق بجلاله.

ورضا الله أحبَّ إليه من سخطه، وعَود هذه الصفة على المسلم أنَّ الله ينصر أولياءه على أعدائهم وأعدائه، ويُجزِل لهم المثوبة ويدخلهم جنته، ويرضي عباده في الجنة، كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبَّيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضي يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحدًا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٧٥١٨، ومسلم، ١٤١٢هـ، ٢٨٢٩).

ويثمر الإيمان بصفة الرضا الرجاءَ فيما عندالله من الثواب، وهذا يؤدِّي إلى بذل العبد الجهد واستفراغ الوسع في عبادة الله تعالى؛ لأنَّ الله يرضى عن عباده المؤمنين.

والرجاء يحدو القلوب لتحقيق العبودية له سبحانه، ويحبِّب المسير له ويحثه عليه (ابن القيم، ١٤١٦ هـ، ٢/٥١).

والرجاء يثمر المحبة له سبحانه؛ فكلما زاد رجاء العبد ووقع ما رجاه زاد لله سبحانه حبًّا وشكرًا، ورضي به وعنه.

والرجاء يَزيدُ في معرفة العبد لربه وأسمائه وصفاته، والتعلق والتعبد بهما.

وبالجملة؛ فإنَّ معرفة الأسماء الله وصفاته ودراستها تؤثر في العبادات القلبية وعبادات الجوارح كذلك؛ لأنَّ العبد كلما عرَف الله بأسمائه وصفاته وتعمَّق في تلك المعرفة، دفَعه ذلك لعبادته سبحانه على علم، وهذا من الأسباب التي تُفرّق بين عبدٍ وآخر في القبول ومقدار الخشوع والمحبة والخوف والرهبة؛ ولذا قال بعض السلف: ''القلوب جوَّالة؛ فقلب حول الحُش، وقلب يطوف مع الملائكة حول العرش'' (ابن القيم، ١٤٣٢ هـ، ١/٤٢٣).

فالقلبُ هو السيدُ، والجوارح عبيده، وقد ورد في الخبر عن رسول الله: ''إنَّ في الجسد مُضغةٌ، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٥٢، ومسلم، ١٤١٢هـ، ١٥٩٩).

وحياة القلوب وصلاحها في هذا الباب يكون بدراسة وفَهْم ومعرفة أسماء الله وصفاته معرفة جيدة؛ فبها يرتفع العبد، وبها يحقق العبودية لله تعالى بأركانها الثلاثة من محبة وخوف ورجاء، وهذا يثمر جنة ونعيمًا.

أهم النتائج والتوصيات

بَعَد هذه الدراسة المتواضعة عن أثر معرفة أسماء الله وصفاته في حياة المسلم، نستخلص من خلالها النتائج الآتية:

تمام العبودية لا يكون إلا بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى.

تحقيق العبودية يكون بحسب قوة وضعف معرفة أسماء الله وصفاته.

معرفة الأسماء والصفات هي الطريق الموصل إلى العلم بالله تعالى.

معرفة أسماء الله وصفاته سبيل محبة الله.

الحبُّ يدفع العبد على الطاعة.

الخوفُ يحمل العبد على الاستقامة.

الرجاءُ يرفع الهمة.

معرفةُ الأسماء والصفات مثمرة للخيرات والبركات العاجلة والآجلة.

الإيمانُ بالصفات أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان.

ركائز العبودية هي: الحبُّ، والخوفُ، والرجاءُ.

الخوفُ من الله أصل كل خير في الدنيا والآخرة.

حسنُ الظن بالله.

الرجاءُ سبيل التخلص من غضب الله.

هذا وإني أوصي في نهاية هذا البحث بضرورة استشراف آثار معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى، وتفعيل دورها في العبادة والسلوك، والتفقه في معانيها، ومعرفة أقوال وأفعال السلف الصالح -من الصحابة والتابعين ومَن نهج نهجهم- في ذلك؛ فهمْ بمثابة التطبيق العملي للنصوص الواردة في ذلك.

المصادر والمراجع

الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد، (١٣٩٤هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر، دار السعادة.

الأصبهاني، عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، (١٤٠٨هـ)، العظمة، ط١، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة.

الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، (١٤١٥ هـ- ١٤٢٢ هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط١، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف.

البدر، عبدالرزاق بن عبدالمحسن، (١٤٢٩هـ)، فقه الأسماء الحسنى، ط١، المملكة العربية السعودية، دار التوحيد.

البستي، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، (١٤٠٤ هـ)، شأن الدعاء، ط١، دار الثقافة العربية.

البغدادي، عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، (١٤١٢ هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (١٣٩٥ هـ)، سنن الترمذي، ط٢، مصر، مكتبة مصطفى الحلبي.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (١٤٠٣هـ)، كتاب التعريفات، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

الجعفي، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ)، صحيح البخاري، ط١، المملكة العربية السعودية، دار طوق النجاة.

الحارثي، محمد بن علي بن عطية، (١٤٢٦ هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.

الحراني، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية (١٤٢٦هـ)، بيان تلبيس الجهمية، ط١، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

الحراني، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، (١٤١٦هـ)، مجموع الفتاوى، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

الخراساني، أحمد بن الحسين البيهقي، (١٤٢٣ هـ)، شعب الإيمان، ط١، الرياض، مكتبة الرشد.

الدارمي، عثمان بن سعيد، (١٤٣١ هـ)، الردُّ على الجهمية، ط١، مصر، المكتبة الإسلامية.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (١٤١٦ هـ)، الصلاة وحكم تاركها، بيروت، دار ابن حزم.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (١٣٩٣ هـ)، الفوائد، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (١٤٢٥هـ)، بدائع الفوائد، المملكة العربية السعودية، دار عالم الفوائد.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ط١، المملكة العربية السعودية، دار عالم الفوائد.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (١٤٠٣هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، بيروت، دار الكتب العلمية.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (١٤١٤هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط٢، المملكة العربية السعودية، دار ابن القيم.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (١٤٢٢هـ)، مختصر الصواعق المرسلة على

الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد بن محمد بن عبدالكريم بن رضوان البعلي شمس الدين ابن الموصلي، ط١، مصر، دار الحديث.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (١٤١٦ هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي.

الدمشقي، محمد بن أبي بكر بن أيوب، (١٤٣٢ هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ط١، المملكة العربية السعودية، دار عالم الفوائد.

الدويش، أحمد بن عبد الرزاق، (١٤٢٤هـ)، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ط١، المملكة العربية السعودية، دار المؤيد للنشر والتوزيع.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (١٤٠٨ هـ)، معاني القرآن وإعرابه، ط١، بيروت، عالم الكتب.

الزهراني، فاطمة بنت يحيى، أثر الفقه بأسماء الله الحسنى وصفاته على الداعية، (رسالة ماجستير)، المملكة العربية السعودية، قسم الدعوة، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٥هـ.

السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، بيروت، المكتبة العصرية.

السلامي، عبدالرحمن بن أحمد ابن رجب، (١٤٢٤ هـ)، الذل والانكسار للعزيز الجبار، ط١، مصر، الفاروق الحديثة.

السلمي، محمد بن الحسين بن موسى، (١٤٢١هـ)، حقائق التفسير، بيروت، دار الكتب العلمية.

السمعاني، منصور بن محمد بن عبدالجبار، (١٤١٨هـ)، قواطع الأدلة في الأصول، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، (١٤٢١ هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الصالحي، محمد بن يوسف، (١٤١٤هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، (١٤٢٢هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، مصر، دار هجر.

العبسي، عبدالله بن محمد ابن أبي شيبة، (١٤٢٧هـ)، المصَنَّف، ط١، المملكة العربية السعودية، دار القبلة.

العثيمين، محمد بن صالح، (١٤٢١هـ)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ط٣، المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

العسكري، الحسن بن عبدالله، الفروق اللغوية، مصر، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.

الغصن، عبدالله بن صالح، (١٤١٧هـ)، أسماء الله الحسنى، ط١، المملكة العربية السعودية، دار الوطن.

القرشي، عبدالله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، (١٤٣٣ هـ)، الهم والحزن، ط١، المملكة العربية السعودية، دار أطلس الخضراء.

القرشي، عبدالله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، (١٤١٧هـ)، صفة النار، ط١، بيروت، دار ابن حزم.

القرطبي، يوسف بن عبدالله، (١٣٨٧ هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.

القزويني، محمد بن يزيد ابن ماجه، (١٤٣٠ هـ)، سنن ابن ماجه، ط١، بيروت، دار الرسالة العالمية.

القزويني، أحمد بن فارس، (١٤١٨هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

القزويني، أحمد بن فارس، (١٣٩٩هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر.

القزويني، أحمد بن فارس، (١٤٠٦ هـ)، مجمل اللغة، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة.

القشيري، مسلم بن الحجاج، (١٤١٢هـ)، صحيح

مسلم، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الكردي، فوزية بنت عبداللطيف، تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، (رسالة ماجستير)، المملكة العربية السعودية، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية للبنات بجدة، (١٤٢٠هـ).

الكواري، كاملة، المجلى في شرح القواعد المثلى، دار ابن حزم.

المقدسي، عزَّ الدين بن عبدالسلام، (١٤٢٤هـ)، شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأفعال، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

المقدسي، محمد بن عبدالواحد، المنتقى من مسموعات مرو.

المناوي، عبدالرؤوف بن علي، (١٣٥٦هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١، مصر، المكتبة التجارية الكبرى.

النجار، أحمد محمد الصادق، أثر الإيمان بصفات الله في سلوك العبد، المملكة العربية السعودية.

النسائي، أحمد بن شعيب، (١٤٢١ هـ)، السنن الكبرى، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

النسائي، أحمد بن شعيب، (١٤٠٦هـ)، المجتبى من السنن، ط٢، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية.

النووي، يحيى بن شرف، (١٣٩٢هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الهروي، أحمد بن محمد، أبو عبيد (١٤١٩ هـ)، الغريبين في القرآن والحديث، ط١، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز.

الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، (٢٠٠١م)، تهذيب اللغة، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

اليمني، محمد بن إبراهيم بن علي ابن الوزير، (١٩٨٧م)، إيثار الحق على الخلق في ردِّ الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.

آل عبداللطيف، عبدالعزيز بن محمد بن علي، (١٤٢٠هـ)، العبودية مسائل وقواعد ومباحث، ط١، المملكة العربية السعودية، دار الوطن.

نجوى إبراهيم موسى سعيد، أثر معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأهميتها على المسلم، (رسالة ماجستير)، السودان، الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ١٩٩٤م.